



جمعتنى مؤخراً مع عمى الوحيدة - صديقتى الأثرية - جلسة هادئة من تلك الجلسات التى كنت أحن إليها من آن لآخر بعد أن باعدت بيننا المسافات وظروف الحياة..كنا نتبادل أطراف الحديث حول تربية الأبناء ومخاطر

العصر الحديث وكيف أن أبناء اليوم غير أبناء زمان..وتطرقنا فى حديثنا إلى نقطة تدليلهم وكيف أن هذا التدليل إن زاد عن حده يفسد أكثر مما يقوم..وكعادة كل الجلسات اللطيفة..انتهت زيارتها سريعاً...
وشردت بعدها أتأمل حالنا نحن أمهات هذا العصر..دلل أطفالنا ونوفر لهم كل سبل الراحة..من ملابس لمأكل ومشرب..والعاب ونزهات وفسح..وتكنولوجيا..وكل وسائل الترفيه الممكنة ومع ذلك لا يراودنا هذا الإحساس العميق المؤثر الذى كنا نستشعره دائماً فى طفولتنا مع أمهاتنا بالمقارنة بأحاسيس أطفالنا اليوم تجاهنا ..
أشعر وكأن هناك شيء ما يظل مفقود بيننا وبينهم وإستحوذت عليه كل الوسائل التكنولوجية الحديثة من كمبيوتر وانترنت وتليفزيون ..تلك الوسائل التى قلصت من مساحة الوقت فيما بيننا كثيراً..والملاحظ بالفعل أن التكنولوجيا والألعاب الإليكترونية أصبحت تأخذ منا أولادنا وتقلل بشكل كبير جداً من الجلسات الحميمية الإنسانية داخل الأسرة الواحدة..أضف إلى ذلك هو إنعدام التزاور تقريباً بيننا وبين أقربائنا وأصدقائنا..عدم ممارسة أنشطة إجتماعية تضمننا فى إطار إنسانى يقربنا..تلك الممارسات الإنسانية التى سلبناها..هل ياترى هى السبب الفعلى فيما وصلنا إليه من حالة خواء ونسبة جفاء لا بأس بها فى تعاملنا مع الآخر...!!
قديمًا لم تكن أمهاتنا يتحفوننا طيلة الوقت بكلمات من طراز "يا حبيبى..يا عمرى..يا نور عيني..يا قلبى " مثلما تفعل أمهات اليوم مع أبنائهن..تجد مثل هذه الكلمات وكأنها ملتصقة فى ألسنتهن..تنفرط منهم بمناسبة وبدون مناسبة على أسماع أبنائهن حتى ولو بدون إحساس..وكانها محفوظة..تقال كتأدية واجب ليس إلما!!
أتذكر أنني لم أسمع من أمى مثل هذه الكلمات بإفراط ..وإنما كنت أسمعها بحساب..
كان الحب له قيمة ويستحق التعبير عنه فى الموقف الحقيقى له..حتى ولو كان بين الأم وأبنائها كنوع من الثواب على ما يبدو..أثمن ثواب يمكن أن نحظى به وقتها من أمهاتنا ..فيدللوننا بتلك الكلمات الحزونة الصادقة على أمر عظيم مثلاً قد قمنا به..تصوروا أن تكون كلمة من تلك الكلمات هى الجائزة!!!
ولذلك كانت أمهاتنا قدرات على إحتوائنا بنوع من الحنان القوى..هذا الحنان الذى كان بمثابة بوصلة لمشاعرنا كى توجهها لتنمو وتتربح بثقة وفى الإتجاه الصحيح..بعدالة لمن يستحقها..لأنها قيمة وليست ذاتجة من حالة فراغ أو بدون إحساس أو جدوى..كان معروفًا أن المشاعر تقوم وتوجه ويمكننا بها أن ننجز أشياء كثيرة..فالإنسان منا بطبيعة الحال يحب أن يقدر ..وما مشاعر الحب والإحتواء واحترام الإنسانية سوى أعظم تقدير!..
أحد إخوتى وقتها كان يتندر بأن أمننا لنا تحبنا!!!!
فهى ليست مثل كل الأمهات اللواتى تتحدث عنهم الكتب..ونقرأ عنهم فى القصص..
والحقيقة أن أمننا كانت مثل كل الأمهات..تطهو الطعام..تغسل الثياب..ترتب المنزل وتنظفه..وتبتاع لنا أشياءنا وكل مستلزماتنا..لم تحرمنا من أى شيء سواء فى المناسبات العامة والخاصة أو فى الأيام العادية..تحملت كل الظروف..ومع ذلك لم تكن أستاذة قديرة فى

إلقاء كلمات الحب على مسامعنا.. ولكنها كانت أستاذة الأساتذة فى أن تشعرنا بأقصى درجات الأمان النفسى والثقة والتقارب.. كنا نسعد بمجرد وجودها معنا فى أى وقت وفى أى مكان.. تحدثنا وتسامرنا.. تطعمنا بيديها وتوزع علينا من الأطعمة الحلوة التى كانت تصنعها لنا بشكل خصوصى..

فى أحلك المواقف لم تكن أبداً لتغضب تلك الغضبة الشديدة.. لا أتذكر أنها تركت المنزل فى يوم من الأيام..

كنا نعود من المدرسة لنراها كما هى تعد طعام الغذاء وترتب أمورنا.. وحاجياتنا..

هل ياترى إختلفت أمهات زمان عن أمهات اليوم.. هل صارت هناك نزعة أنانية وإحساس عالى بالمشخصية فىنا نحن أمهات اليوم.. لست أدرى..؟

والمأهم هو هذا السؤال الذى لا يزال يرن فى أذنى حتى اليوم ومن وقتها.. هل كانت أمننا تحبنا؟؟

سؤال لا أستطيع الإجابة عنه بلسانى.. ربما لو كان قلبى ينطق.. لأطلق صرخة عذاب..

ندى